التأويل العرفاني عند السيد السبزواري (قدس)

الأستاذ المساعد الدكتور
علي كاظم جواد سميسم
جامعة الكوفة / كلية الفقه

التأويل العرفاني عند السيد السبزواري (قدس)

الأستاذ المساعد الدكتور
علي كاظم جواد سميسم
جامعة الكوفة / كلية الفقه

المقدمة:

الحمدُ لله الأول بلا أوَّل كانَ قبلَهُ، والآخرِ بلا آخرٍ يكونُ بعدَهُ، الذي قصُرَتْ عن رُؤيتِه أبصارُ النَّاظِرِينَ، وعَجَزَتْ عن نَعتِه أوهامُ الواصِفِينَ، ابتَدَعَ بِقُدرَتِه الخَلقَ ابتِدَاعاً واخترعَهُم على مَشِيَّتِه اختراعاً، وصلى الله على محمد سيد المرسلين أمين وحيه ونجيبه من خلقه وصفيه من عباده وعلى آله خزان وحيه أئمة الهدى وقادة أهل التقى، وأصحاب دعوته والسابقين إلى دعوته

يمر البحث في ما لابد منه: وهو بيان التأويل لغة واصطلاحا والفرق بين التفسير والتأويل وان بينا ذلك في كتابنا (تأويل النص عند الصوفية) وذلك لارتباط السلسلة الفكرية بالقصد الدلالي والوصول إلى الوضوح، ثم بيان العرفان لغة واصطلاحا ومن ثمّ الولوج إلى التأويل العرفاني عند السيد السبزواري (قد) وهو ما يميز هذا الكتاب عن غيره من كتب التفسير مع ما به من بحوث متنوعة تصب في علم التفسير، وليس من شأن البحث دراسة المنهج العلمي الذي اتبعه السيد السبزواري (قد) في كتابه مواهب الرحمن؛ بل تقصي التأويل العرفاني في هذا الكتاب وسبر نصوصه، ولا يعرّف البحث المعرّف فترك التعريف بالسيد (قد) بعد أن كتبت عن حياته المقالات والبحوث الكثيرة، والبحث في الأدب وليس في علم اللغة فلا يتوخى مقاصدها، وقد تضمن البحث مقاطع من كلام السيد السبزواري (قد) التي اتسم بعضها بالطول بعد أن بيّن

البحث غايتها وسيرها الدلالي نظريا فنقل النصوص لتكون تطبيقا لما بيّنه البحث وما ذلك إلا زيادة في البيان الدلالي، وتقليص تلك المقاطع يؤدي إلى الخلل في الدلالة مما يعرفها المختصون في علم الدلالة ومقاصد النص، مع أن الكلام في الدلالة العرفانية التي تعتمد على الذوق والقلب وهي تجري في مذهب الحب، مما يعلمه من كابده أو سار في طريق معرفته فضل عنه بسيطوالمعرفة المتمسكون بالصرامة الشكلية الظاهرية وتمتع بها أهل الدرب - أهل الله- كما يسمون أنفسهم.

التمهيد

ما يزال بعض الباحثين لا يفرقون بين التصوف والعرفان، وفي الدراسات الأكاديمية خاصة بيد أن الدارسين في الحوزات الدينية يفرقون بينهما، والفرق بينهما يحتاج إلى بحث خاص، والبحث - هنا - يفرق بينهما، وباختصار شديد إن العرفان أخص من التصوف وهو الدرجة الأسمى، وإن تشابها في السلوك والرياضات أي وإن كان خط شروعهما واحدا إلا أن التصوف يقف في مرحلة معينة ويسير العرفان إلى أعلى منها، يضاف له إن العارف يعتمد على طرق آل البيت (عليهم السلام)، بيد أن للصوفي شيوخه من غيرهم (عليهم السلام)، والفارق الآخر القول بالولاية عند العارف.

أما التأويل الصوفي، والعرفاني فيتشابهان في الاستدلال والطرق والأساليب المفعمة بالخيال العالي، ليصل بالتأويل إلى ما سميناه بالتأويل المطلق[1]، الذي يرتفع عن التأويل المقيد بقيود أصولية وكلامية مذهبية وعقلية إلى ما فوق العقل، وعند سبر كتاب مواهب الرحمن لسماحة السيد (قد) لا نجد هذا التأويل المنشود بل نجد مباحث عرفانية واستنباطات عرفانية من الآيات الكريمة معضدة بالسنة الشريفة لتكون تربية سلوكية، ونعتقد أن السيد الجليل لم يذهب بالتفسير على الطريقة الصوفية والعرفانية لارتباطه الشديد بالاستدلال الفقهي

والأصولي، فهو من كبار مراجع التقليد، والذهاب إلى ذلك الاتجاه مباشرة قد يزلزل المكانة الفقهية الاستدلالية في الأذهان الضعيفة، فاخذ يفسر الآية بالآية، والسنة الشريفة، والابتعاد عن التفسير بالرأي، إذ يقول: ((وقد فسرت نفسه بنفسه، لأنه تبيان كل شيء فإذا كان كذلك فأولى أن يكون تبيانا لنفسه مستدلا لذلك بما ورد من السنة النبوية والمأثور عن آله الذين قرنهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالكتاب وجعلهم الأدلاء عليه فجمعت بينهما وبين ما اتفق عليه الجميع مع تقرير الشريعة له، وقد بذلت جهدي في عدم التفسير بالرأي مهما أمكنني ذلك تأسيا بقول نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله): ﴿من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ﴾... وتركت التعرض للتفاسير النادرة والآراء المزيفة والفروض التي تتغير بمرور الزمان)) [٢]

والجهة الأخرى إن السيد أشفق على بيان معالي هذه المطالب حتى في مباحثه العرفانية فضلا عن التأويل العرفاني المعروف لأنه لم يجد المؤهل لحمل هذه المطالب السامقة، فهو يقول: ((والبحث نفيس جدا لو وجدت لهذا العلم الشريف حملة)) [٣]، فكانت بحوثه المستنبطة من الآيات الكريمة منوعة وكالآتي:

الأبحاث:

١- بحث دلالي
٢- بحث فقهي
٣- بحث روائي
٤- بحث فلسفي
٥- بحث كلامي
٦- بحث أخلاقي
٧- بحث اجتماعي
٨- بحث تاريخي
٩- بحث تاريخي عقائدي

١٠- بحث أدبي
١١- بحث علمي
١٢- بحث عرفاني
١٣- بحث قرآني

التأويل:

لقد وقع الخلاف الشديد في معنى هذا اللفظ، لقابليته الإيحائية بأكثر من معنى من جهة، ولوقوعه في شَرَك الخلاف السياسي الذي يصاحبه ـ عادة ـ الخلاف الفكري والعقائدي، فكان لأهل اللغة مع هذا اللفظ وقفة ولأهل أصول الفقه وأهل علم الكلام والفلسفة وأهل التصوف والعرفان كذلك مع عدم انفكاكهم عن مبتنياتهم العقائدية ـ بطبيعة الحال ـ بيد إني سأغمض عيني في هذا المكان من البحث لأفتحها بعد حين، في ما يناسبها من البحث ـ وسأسير برتابة إجرائية لبيان التأويل العرفاني عند السيد (قد)

التأويل لغة :

جاء هذا اللفظ في لغتنا العربية على معان عديدة منها :

١ ـ الرجوع والجمع :

قال أبو عبيد: في قوله تعالى: هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ }[٤]

التأويل: المرجع والمصير، مأخوذ من آلَ يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأوّلته صيرته إليه [٥] ومنه قولهم: أوّل الله عليك ضالتك، أي رد ورجع الشيء [٦] ومنه (الموئِلُ) للموضع الذي يرجَعُ إليه وذلك هو ردٌ الشيء إلى الغاية المُرادة منه علماً كان أو فعلاً [٧]

وقال أبو منصور : يُقال: ألتُ الشيء أؤوله ـ إذا جمعته وأصلحته، فكأن التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واحد لا إشكال فيه [٨]

وعند ابن فارس: تأويل الكلام هو عاقبة ما يؤول إليه [٩]

وفي التهذيب: التأويل هو تفعيل من أوّل يؤول تأويلا وثلاثيةُ آل يؤُول أي رجع وعاد [١٠]

٢ ـ ويأتي بمعنى التفسير والبيان :

جاء في اللسان : أوّل الكلام، وتأوّله: دبّره وقدّره وأوّله وتأوّله: فسّره، ومنه قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}[١١] أي لم يكن معهم علم تأويله أي تفسيره [١٢]

وكذلك قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ }[١٣]

قال الليث: التأوُّل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه و لا يصح ألا ببيان غير لفظه وفي قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ }[١٤] معناه: هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من العبث، وقيل هذا التأويل هو قوله تعالى:{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ} [١٥] أي: لايعلم متى يكون أمر البعث وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله [١٦]

٣ ـ ويأتي بمعنى السياسة :

فهو مأخوذ من الإيالة، قال يعقوب: أوّل الحكم إلى أهله، أي أرجعه أليهم، والايالة: السياسة، ومن هذا الباب (ألتهُ) أي أصلحته [١٧]

٤ ـ ويأتي بمعنى تفسير ـ تعبير الحلم:

وعلى ذلك بعض آيات القرآن الكريم مثل: قوله تعالى :{ قَالُواْ أَضْغَاثُ

أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ [١٨]، وقوله تعالى :{ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً}[١٩].

وقوله تعالى:{ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }[٢٠] والى أخره من الآيات الدالة على تعبير الرؤيا باستعمال لفظ (التأويل وقد وردت كلمة التأويل في القرآن الكريم (سبع عشرة مرة) [٢١] دالة على معاني مختلفة احتملت التفسير والتعيين والعاقبة والمصير، ووقوع المخبر عنه وتحققه في الوجود وتعبير الرؤيا ومدلولها، وتأويل الأعمال وبيان السبب الحامل عليها، وفي رأي الباحثين الآخرين احتملت معاني باطنية عميقة سنأتي إلى ذكرها في مظانها ... والتأويل في المعاجم يأتي مرادفاً لكلمة (هرمنيوطيقا) و هي مشتقة من كلمة (Hermeneuein) اليونانية التي تعطي معنى يفُسّر أو يوضّح أو كما جاء في القواميس الانكليزية ـ الفارسية المعتبرة إ ذ ترجمت إلى علم التفسير، التعبير، شرح الكتاب المقدس وتبيينه وطريقة تفسيره، ((وهذا القاموس، ساوى بين كلمة (هرمتيك ـ Hermetic) وبين كلمات (كيميائي، متعوذ، مبهم) ومن الترجمات الفارسية (الهرمينيوطيقا) تعطي معنى: الفهم و الإدراك والتفسير والتأويل)) [٢٢]

التأويل اصطلاحاً:

معناه الاصطلاحي . قال الجوهري ت ٣٩٣هـ: ((التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء)) [٢٣] وهذا قريب من معناه اللغوي، ونعلم أن المعنى الاصطلاحي لابد أن تربطه علاقة مع المعنى اللغوي قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية، ولكن لابد من تلك العلاقة، وما سنذكره من معنى اصطلاحي منه واضح الارتباط بالمعنى اللغوي ومنه ما يبتعد بخطوات أوسع فيقول الزبيدي ت ١٢٠٥هـ في هذا الباب هو ((صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي

تصرف أليه موافقا للكتاب والسنة)) [٢٤] وعند الأزهري ت٣٧٠هـ: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه و لا يصح إلا ببيان غير لفظه [٢٥] وهنا لابد أن نشير إلى أن الباحثين قد فهموا معنى التأويل على وفق مبتنياتهم العقائدية وهذا لا يعني إنهم جمدوا عليها بل كان للتطور العلمي و التلاقح الفكري مع العلوم الأخرى والمترجمات لعلوم الحضارات الأخرى، اثر في تطور مدلول هذا اللفظ في مفهوم العقائد المختلفة، ومن بين سطورهم نفهم مدى الاتساع المجازي لهذا اللفظ.

يقول (ابن منظور) ت ٧١١هـ: ((والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ)) [٢٦]

وعلى هذا سار الزبيدي آنف الذكر، ويأتي التأويل بمعنى إعمال النظر العقلي والتفكير الذهني، إذ قال القرطبي ت ٦٧١هـ: لابد من التأويل والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض [٢٧] ويؤيد هذا ما جاء عن أبي حيان ت ٧٥٦هـ: ((... وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها وإنها لا تُحمَل على ظاهرها ...)) [٢٨] وكان للنقاد وأهل البلاغة وقفة مع التأويل.

فقال العلوي ت ٧٤٩هـ: ((التأويل: إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه كالاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها)) [٢٩]

وعلى هذا المنهج قال الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ: ((وللعرب ملاحن في كلامهم وايثارات إلى الأغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويسرع إلى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه، متعدياً طوره)) [٣٠]

ولا نريد أن نكثر في هذا الباب من أقوال أهل النقد والبلاغة والفلسفة إذ لنا معهم وقفة أخرى من هذا البحث.

الفرق بين التفسير والتأويل :

وفرق البحث بين التفسير والتأويل عند القدماء والمحدثين - ذكرنا ذلك

مفصلا في كتابنا تأويل النص عند الصوفية - على خلاف من قال: إن الكلمتين مترادفتان في مفهوم القدماء [٣١]

واستعمل الطبري الترادف بين الكلمتين عمليا في أغلب صفحات تفسيره. [٣٢]، إذ يقول: ((وأما معنى التأويل في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير)) [٣٣]

وقال بذلك ابن تيمية ت ٧٢٨هـ بقوله: ((التأويل هو تفسير الكلام، سواء أوافق ظاهره أم لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم)) [٣٤]

وأكدت هذا الرأي - الترادف عند القدماء - (الموسوعة الإسلامية) بيد أنها قالت بالفرق بينهما وانزياحهما عن بعضهما بفضل التطور الفكري واللغوي، فعندها ((.... التأويل .. أصبح بمرور الوقت الاصطلاح الذي يطلق على مادة القرآن أي مضمونه، بينما أطلقت كلمة التفسير بعد ذلك على الشرح اللغوي الظاهر)) [٣٥]

بل يرى البحث أن الفرق واضح عند أهل العلم منذ البداية، بيد أن من تمسك بهذا الرأي من الترادف الظاهرية و الأشاعرة، فظن بعض الباحثين أن المعنى يتطور [٣٦] بيد أن معنى التأويل الاصطلاحي أُختلف فيه على حسب المبنى المعرفي والفكري والعقائدي، فعلى سبيل المثال: يعني التأويل عند أهل الحديث والذين يدرسون علم الرجال وعلم الرواية وعلم الدراية، وعلى قول البجلي: ((التفسير يتعلق بالرواية والتأويل بالدراية)) [٣٧]

وعند أهل البلاغة وأصول الفقه: ((إن التفسير بيان للفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجهٍ إلى معانٍ مختلفة إلى واحدٍ منها بما ظهر من الأدلة)) [٣٨]

لذا جاء في ((لسان العرب)): ((... نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله)) [٣٩]، وقال ابن الأثير: ((وذهب بعضهم في الفرق بين

التفسير والتأويل إلى شيءٍ غير مرضٍ، فقال: التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة ... التأويل إظهار باطن اللفظ ...)) [٤٠].

بيد أن أهل العرفان يرون: أن مفهوم التأويل هو الحقيقة الخارجية وليس هو المعنى خلاف الظاهر الذي يقصد من الكلام [٤١]

وبينا في محله [٤٢]: إن هذا التأويل الباطني - الحقيقي عند أهل العرفان - لا يعني خلاف ظاهر اللفظ أي خلاف حقيقة اللفظ بل هو التحول من المعنى المطابقي إلى المفهومي على اختلافه، أي بعد الاعتقاد بظاهره ومن ثم السمو بإيحاءات المعنى للوصول إلى حقيقة المعنى..

ويرى السيد السبزواري إن ((التأويل أخص من التفسير بلا إشكال لان التفسير من فسر وهو والسفر بمعنى واحد أي كشف القناع ويحصل ذلك ببيان أول مرتبة من مراتب معاني اللفظ بخلاف التأويل، ولذا يختص التأويل بأئمة الدين كما ورد عنهم {إن عندنا علم التأويل} على ما تقدم معناه فيكون علم التأويل اجل وأعظم بمراتب من علم التشريع وعبر عن بعض مراتبه بعلم البلايا والمنايا فان له مراتب كثيرة لان للقرآن بطونا ولعل المراد منهما بعض مراتب التأويل))[٤٣].

العرفان لغة:

عرف: عَرَفه يعرِفه بالكسر(مَعْرِفَةً) و(عِرْفاناً) بالكسر و(العَرْف) الريح طيبة كانت او منتنة، و (المعروف) ضِدُّ المُنكَر و(العُرف) ضِدُّ النُّكر، والعُرف أيضا الاسم من الاعتراف ... و(العريف) و(العارف) بمعنى كالعليم والعالم، و(العريف) أيضا النقيب وهو دون الرئيس، والجمع (عُرَفاء) وبابه ظَرُف إذا صار عريفا، و (التعريف) الإعلام والتعريف أيضا إنشاد الضالة، والتعريف التطيب من العرف، و(تعرّف)ما عند فلان أي طلبه حتى عرفه..

(العُرف) الاصطلاح، وما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول

وتلقته الطباع السليمة بالقبول ... و(العرفان)مص المعروف.. و(العرف) الصبور

عرفان: بضمتين مشددة وبكسرتين مشددة، وفيه لف ونشر مرتب، قال أبو حنيفة: جندب ضخم كالجرادة له عرف، وقال ابن دريد: هو جبل أو دويبة، وقال ثعلب: العرفان: هنا الرجل المعترف بالشيء الدال عليه، عرف: العرفان: العلم (٤٤)

العرفان اصطلاحا:

قيل: المعرفة، والعرفان: هو إدراك البسائط والجزئيات والعلم التفصيلي(٤٥)

وقيل المعرفة: إدراك الشيء ثانيا بعد توسط نسيانه لذلك يسمى الحق – تعالى – بالعالم دون العارف، وهو أشهر الأقوال في تعريف المعرفة، لذا قال الشيخ البهائي: (من عرف الله)... قال بعض الأعلام: أكثر ما تطلق المعرفة على الأخير من الإدراكين للشيء الواحد، إذا تخلل بينهما عدم بان أدركه أولا ثم ذهل عنه، ثم أدركه ثانيا فظهر له انه هو الذي كان قد أدركه أولا، ومن هاهنا سمي أهل الحقيقة بأصحاب العرفان، لان خلق الأرواح قبل الأبدان كما ورد في الحديث، وهي كانت مطلقة على بعض الإشراقات الشهودية .. (٤٦)

وقيل المعرفة: - وهو رأي أهل الكلام - قد تقال فيما تدرك آثاره، وان لم يدرك ذاته، و معرفة الله سبحانه و تعالى بلا كيف ولا تشبيه (٤٧)

وقيل العرفان: ما يرجع إلى ذات الشيء، وحقيقته – معرفته تعالى – ومعرفة النفس (٤٨)

وقيل: العرفان: هو عبادة الله سبحانه عن حب وإخلاص لاعن رجاء وثواب ولا عن خوف وعذاب (٤٩)

فالعرفان: إذن طريق من طرق العبادة، عبادة الحب والإخلاص، لا عبادة الخوف والرجاءويمكن أن نتوصل من الأقوال السابقة وغيرها إلى الآتي:

العرفان: علم في معرفة الله سبحانه وتعالى [٥٠]، بالمشاهدة والحضور لوجوده - تعالى - الخارجي [٥١]

وموضوعه: هو عين موضوعات مسائله، أي العلم بالذات المقدسة وتجلياته وجلواته وإفاضاته [٥٢]

فالعرفان :

نوعان هما: نظري: وهو ما يبحث الباحثون في موضوعاته وأدلته وتطبيقاته المعرفية، وعملي: وهو ما يسلك طالب الحقيقة طريقه بعد أن يعرف نفسه ويصفي ويصقل قلبه حتى يكون كالمرآة تنعكس فيها الحقائق الكونية حتى تتكامل نفس السالك ليصل إلى معرفة ذاته تعالى بعد تسديده وتوفيقه وإفاضاته سبحانه وتعالى.

وقيل: إن سلوك هذا الطريق يكون بالحب، و العارف يدين بدين الحب، لا دين الخوف والرجاء، ونقول: أنى له ذلك فكل الحصول لا يكون إلا بتوفيقه وعطائه وكيف للمؤمن أن يترك الخوف والرجاء منه تعالى، وقد تعلقت أنياط قلبه بهماء فما ذلك إلا للأولياء والأوصياء والذين زلزلوا في ذات الله وامتحن الله تعالى قلوبهم فثبتوا على الإيمان فأفاض عليهم أكرم الأكرمين الذي لا بخل في ساحته تعالى، فيكون مصداق الحديث القدسي ((لم تسعني سمائي ولا أرضي، و وسعني قلب عبدي المؤمن))[٥٣]

وبحث هذا العلم : ذوقي، قلبي ودليله: المشاهد الفورية، والمكاشفات العرفانية والإلهامات الذوقية

ابستومولوجيا النص:

إن الخطاب الإسلامي منذ النشأة عندما كان مشافهة إلى التدوين وما بعده يدور في أمرين:

الأول: برهاني استدلالي

والثاني: غيبي باطني ميتافيزيقي ومن خلطهما وتركيبتهما نتحرى مقاصد الشريعة ومعنى الخطاب وفحواه، إلا أن تطور الصراع السياسي والفكري الذي أنتج الاختلاف العقائدي أدى إلى وقفات طويلة للباحثين الإسلاميين في مباحثهم الكلامية والفقهية والأصولية والبلاغية واللغوية والأدبية، فكان الصراع على الأساس الأول اللفظ والمعنى، وتلبُس اللفظ بالمعنى، وظاهر وباطن المعنى، دار الصراع بعد أن تترس كل طرف بمخزونه المعرفي والسياسي ليدلو بدلوه في اللغة والبلاغة ليؤثر في معنى النص والمقاصد المستوحاة منه فنشأت المدارس العديدة الآنفة الذكر، وهي منقسمة بين مدارس ثلاث، الأولى :الأخذ بظاهر اللفظ - بغض النظر عن الوقوع بالمخالفة العقلية -، والثانية: حكّمت العقل وجعلته حاكما أعلى والثالثة: اتخذت العقل طريقا لمفهوم النص مع الأخذ بظاهره، والجامع لهذه المدارس والمذاهب الكلامية المدرسة العليا - إن جاز لنا التعبير - هي مدرسة البرهان، ويقابلها مدرسة عليا أخرى هي مدرسة الباطن وفي ضمنها مدارس مختلفة تنقسم على قسمين رئيسين هما مدرسة المتصوفة ومدرسة العرفان، والمدرسة الأولى تحتها مدارس وطرق عديدة، والثانية تكاد تكون موحدة، وما تلك التقسيمات إلا استجابة للخلاف الايديولجي المعرفي المبني على الخلاف السياسي الأول، فكانت مدرسة البرهان على الاختلاف البلاغي و الفكري والعقائدي بين مدارسها اتهمت الثانية باللامعقولية والغنوص والهرمسية، والباطنية التي حمّلوها معاني سلبية وتُهم معرفية وانحرافات سياسية، وهذه محاولة لقطع المدرسة الأولى من الحضارة المعرفية الإسلامية وبهذا ينقطع علم واسع وفكر سامٍ.

و قد تُتهم بعض مدارس التصوف بالبعد عن المدلول الظاهري والبرهاني وإحلال المعنى الباطني محله إلا أن ذلك لا يكون للمدرسة العرفانية والمدارس الصوفية الصافية التي أخذت المدلول الظاهري والمفهوم البرهاني وآمنت به وعملت على وفقه وتسلقت ما أمكن الفكر التسلق عبر رياضات العرفان،

وإيحاءات الحقائق، ما يسميها أهل الأدب (الخيال، والرمز) للحصول على مقاصد جديدة من تحمل اللفظ معاني عديدة وثم مداليل عديدة تؤدي إلى مقاصد مختلفة وهذا العرفان هو التركيبة القديمة للخطاب الإسلامي والتوازن الأول، أي التركيبة بين الأخذ بظاهر اللفظ وحجيته المشهورة والنظر بباطنه ورمزيته، والدليل على الأخذ والتمعن بباطن الخطاب ورمزيته، الأدلة العقلية والنقلية العديدة، وهذا ليس محل عرضها

إشعاعات التأويل والأصل المجازي:

ولما كان النص يركب من تراكيب وهذه التراكيب من ألفاظ، دار الكلام في مفهوم هذه الألفاظ ومعرفة معانيها فكانت بحوث اللغويين و النحاة و البلاغيين و الفقهاء والأصوليين و المتكلمين في تلبس اللفظ بالمعنى، والبحث في الوضع هل هو بالمواضعة و الاصطلاح أم بالتوقيف و الإلهام، وهو امتداد طبيعي للخلفية المعرفية والاعتقادية والسياسية بين أهل الرأي و أهل الحديث، لتدور البحوث في مباحث الألفاظ والمعادل الموضوعي بين اللفظ والمعنى ليكون القدح المعلى لأهل الأصول في ضبطها في مباحث منها:حقيقة الوضع، ومن هو الواضع، وهل الوضع تعييني أو تعيني، وأقسام الوضع العقلية : بان يكون الوضع خاص والموضوع له خاص،

والوضع عام والموضوع له عام، والوضع عام والموضوع له خاص، والوضع خاص والموضوع له عام، والاستعمال الحقيقي والمجازي للّفظ، وعلاقة الاستعمال بالدلالة، ثم البحث في الوضع الشخصي والنوعي، والبحث في وضع المركبات، وبحثوا في المشتق، والأوامر، والنواهي، والمفاهيم والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين،وما المهم هنا بحثهم بين الاستعمال الحقيقي و الاستعمال المجازي، ووضعهم العلامات الفارقة التي لخصوها بـ(التبادر، وعدم صحة السلب وصحته، والاطراد)[٥٤]، وعلى هذه العناوين وإن اختلفت في

المباحث أكثر كتب الامامية.

واللفظ باعتبار درجة وضوح معناه: محكم: و هو الذي يدل على مقصود بعينه لا يحتمل التفسير ولا التأويل ولا النسخ، و متشابه: وهو ما خفيت دلالته وتعذرت معرفة المطلوب منه.

واللفظ باعتبار طريق دلالته على المراد منه: دلالة العبارة و هي دلالة اللفظ على المعنى المقصود منه أصالة أو تبعاً. و دلالة النص و فحوى الخطاب أو القياس في معنى الخطاب و المقصود دلالة النص على تعدي الحكم المنطوق به إلى مسكوت عنه لاشتراكهما في وصف هو علة الحكم، و دلالة الاقتضاء و هي دلالة اللفظ على مسكوت عنه يتوقف صدق الكلام على تقديره هذا التقسيم على مذهب الحنفية في هذه القضية.

ثم على حسب تقسيم الشافعية إلى دلالة المنظوم أي منطوق اللفظ و دلالته الصريحة، و دلالة المفهوم و هي مفهوم الموافقة و هي مساواة المسكوت عنه للمذكور في الحكم و مفهوم المخالفة و هو مخالفة المسكوت عنه للمذكور أو ثبوت نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه.

وإن جدلية اللفظ والمعنى دخلت الفكر الإسلامي في علم الكلام والفلسفة والأصول والفقه والبلاغة والأدب، فكان أهم صولاتها الفكرية والمعرفية في (التأويل) وهذا دخل في الصراع بين مدرستي الرأي والحديث وبينهما وبين مدرسة التصوف والعرفان، ولما كان التأويل هو الولوج إلى مفهوم النص ومعانيه المحتملة وإيحاءاته ارتبط برباط وثيق بالمجاز، ونعلم أن المجاز القرآني وقع فيه خلافٌ شديدٌ، من قال به في أغلب النص القرآني الكريم، ومن نفاه جملة وتفصيلا، ومن كان بينهما، وهذا ينجر إلى التأويل في النفي والإثبات والتدرج، وإذا قلنا بوجود التأويل وهو ما ثبت في محله [٥٥]، فلابد أن نقول بالمجاز، والقول به مقيد بقيود بيّنها أهل اللغة والبلاغة وأصول الفقه [٥٦]، فكان التأويل بذلك مقيدا أيضا بتلك القيود وغيرها، وهناك من فرّق بين التأويل

والمجاز، بان المجاز له ضابط، والتأويل لا ضابط له - بالمطلق - [٥٧] وبهذا يغالط العلم والمعرفة في ميدانها، ويخلط في المعلومات، بيد أن التأويل ألعرفاني بُني على مجاز فوق تقسيم المجاز على عقلي ومرسل وفوق ضوابطه المشهورة، إذ يبتني على مجاز سميناه (المجاز المطلق) [٥٨] المجاز القادر على التحليق بمعاني العارفين التي نسميها في الأدب عالية الخيال والإيحاء وأهل العرفان يسمونها حقائق.

وقد بحث فيه الباحثون وبعض المستشرقين من أمثل كوربان [٥٩] وماسينيون وغيرهما وقد بينوا علاقة هذا الفكر الباطني بالفكر الإيديولوجي الإسلامي، وجعلها نتيجة طبيعية للوعي المعرفي الإسلامي وفلسفة الإسلام.

انطولوجيا النص:

إن العمل التأويلي في النص العرفاني هو عمل في سبر نصوصه وربط المرسل بالمتلقي والبحث في مصطلحاته العرفانية وهو لا يفسر بإحياء اللغة العرفانية فهي حية باقية ما بقي النص العرفاني ومتلقيه، بل لابد من ناقد مختص لبيان جدليته الحوارية المتنامية بأفق رحب متسع بسعة خياله الوقاد وبعلو إيحاءاته الباسقة، والسباحة بتراكم وعيه الثقافي والتاريخي والمعرفي للوصول إلى مقاصده وغاياته، مع بيان التوازن بين البرهان والعرفان والعلاقة الجدلية والمسافة المعيارية التي تربط بعضهما ببعض، وهذا لا يعني ربط المعقول الديني أو المعقول العقلي باللامعقول الديني أو اللامعقول العقلي كما عليه النظر المادي غير المعترف بالذات المقدسة بل إذا كان الخطاب من مؤمن إلى مؤمنين ففيه التوازن الرابط بين العلم بالمحسوسات الخارجية والعلم بالتجريديات و الغيبيات، وقد جاهرت المعرفة الإسلامية في البحث والتفكر الباطني عامة وفي القرآن الكريم خاصة وجاءت الروايات من الفريقين بوجود الرمز والباطن في الوعي المعرفي الإسلامي وسبره بالتأويل لمعرفة الحقائق الجليلة [٦٠]

ولذا تنوعت التفاسير على وفق توجه المفسّر المعرفي والثقافي وفي أية درجة من درجات العلاقة الجدلية بين البرهان بأنواعه والباطني بأنواعه، فكان بعض التفاسير يحمل الطابع الأدبي والبلاغي إذا كان المفسر من أهل هذا الفن وطغى على فكره ذلك ونجد تفسير يحمل الطابع الفلسفي إذا كان المفسر ممن اشتغل بالفلسفة وتثقف عليها، ونجد تفسيرا ذا طابع كلامي، وتفسيرا ذا طابع فقهي أو أصولي وتفسيرا ذا طابع باطني أو عرفاني حين يطغى العرفان أو التصوف على البرهان في الموازنة الجدلية الرابطة بينهما على وفق تراكم الوعي الثقافي والتاريخي لدى المفسر.

وظهرت التفاسير ذات الطابع الباطني من بدايات القرن الثالث، مثل:

(تفسير التستري) / لأبي محمد سهل ابن عبد اللّه ألتستري ت ٢٨٣ هـ جمعه أبو بكر محمد بن أحمد البلدي، و طبع بمطبعة السعادة بمصر عام ١٩٠٨هـ، وتفسير القمي/ أبو الحسن علي بن إبراهيم ألقمي ت ٣٢٩هـ، حققه السيد طيب الموسوي الجزائري، وطبع الطبعة الثالثة في مؤسسة دار الكتب في قم، سنة ١٤٠٤هـ و (حقائق التفسير) / لأبي عبد الرحمن السلمي ت ٤١٢ هـ وهو شيخ الصوفية ورائدهم بخراسان و (لطائف الإشارات) / لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري ت ٤٦٥ هـ و (تفسير الخواجة)/ لعبد اللّه الأنصاري ت ٤٨٠هـ و تفسير ابن عربي ، لأبي بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد اللّه الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ) و (التأويلات النجمية)/لأبي بكر عبد اللّه الرازي المعروف بـ (داية) ت ٦٥٤ هـ و(عرائس البيان في حقائق القرآن) / لأبي محمد روزبهان بن أبي نصر ألبقلي الشيرازي/ ت ٦٦٦ هـ و (كشف الأسرار وعدّة الأبرار) / لأبي الفضل رشيد الدين الميبدي، الذي كتبه في ٢٥ محرم ٧٣٢هـ

التأويل عند السيد السبزواري:

قد بيّنا في بحوث سابقة [٦١] إن التفاسير المختلفة لا تسلم من التأويل، حتى لو تبنت المذهب الظاهري أو الأشعري، وبيّنا أن التأويل على مراحل عديدة على وفق المباني المذهبية، تبدأ من الذين يحرّمون التأويل ويأخذون بظاهر اللفظ إلى الأشاعرة وقد مروا بمراحل من التأويل من خلال التطور الفكري في مذهبهم إلى الامامية والمعتزلة والخوارج، فيكون من التأويل الخفي إلى التأويل البسيط إلى التأويل العالي على وفق علم الأصول وعلم الكلام عند الامامية والمعتزلة والخوارج إلى ما سميناه بالتأويل المطلق عند الصوفية وأهل العرفان، المبني على الخلاف السياسي . وإنّ هذا المصطلح- التأويل - الدال على الإيحاءات الإلهية، أي جوهر الحقيقة، وهو (معناها الروحي) ثم إنّ تعيين المعنى الروحي على أنّه غاية نحاول بلوغها يتضمن إضمارا مفاده أنّ ثمة معنى ليس بالمعنى الروحي، وأنّه يمكن أن يكون بين هذا وذاك تدرج كامل ربما أوصلنا في النهاية إلى كثرة من المعاني ألروحية.

بيد أن السيد السبزواري وإن كان من أهل العرفان إلا انه لم يفسر على طريقة الصوفية أو العرفانية التي اطّلعنا على بعضها في تفسير ابن عربي و تفسير التستري وتفسير القمي و لطائف الإشارات، وغيرها التي ذكرناها سابقا، بل سار على وفق التأويل العلمي العقلي الإمامي، وقد بين منهجه بقوله: ((وتركت التعرض للتفاسير النادرة والآراء المزيفة والفروض التي تتغير بمرور الزمان.

وكان منهجنا في التفسير:

أولا: التعرض في تفسير الآية لمضمونها وبيان مفرداتها ثم ما يتعلق بها من المباحث. وقد ذكرت فيها المبحث الدلالي وأردت منه المعنى العام مما تشير إليه الآية المباركة من الدلالات الظاهرة أو الدقائق العلمية أو غيرها.

وثانيا: لم أتعرض لبيان النظم بين الآيات وذلك لان الجامع القريب في

جميعها موجود وهو تكميل النفس و الهداية ومع وجوده لا وجه لذكر النظم بين الآيات لان الغرض القريب بنفسه هو الجامع والرابط بين الآيات ...))[٦٢]

لكنه كتب البحوث العرفانية في كتابه، والبحث العرفاني غير التأويل العرفاني والصوفي المعروف، فكانت بحوثه العرفانية قابلة للجمع في كتاب خاص ليكون ميدانه السلوك والتربية العرفانية التي امتدت من الجزء الثاني إلى ما بعده، مع علمه (قد) بمراحل التأويل ومراتبه حتى مرتبة التأويل المطلق ومادته التصوف والعرفان .

فيقول: ((إن التأويل له مراتب كثيرة لان للقرآن بطونا كما مر في البحث الروائي ولها لوازم وملزومات، وبالنسبة إلى المؤول تارة يكون الذهن مأنوسا بشيء دون

آخر فيؤولها حسب الأنس الذهني إن لم يكن مخالفا للحجج الشرعية الدائرة وذلك لا يكون إلا من الإفاضة الغيبية الإلهية المختصة بأهله))[٦٣]

ولذلك جاء على لسان أهله علوّه وسموّه حتى قال البسطامي في معرض مساجلته أهل الظاهر: ((أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. يقول أمثالنا حدّثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون حّدثنا فلان. وأين هو؟ قالوا: مات))

بيد أن السيد (قد) يتفرد بأسلوب جديد في التأويل العرفاني، باستنباطه مقامات ومراحل وجذبات العرفان وغيرها من الآيات الكريمة بعد تفسيرها على وفق الاعتقاد الكلامي الأصولي والفقهي الإمامي الذي هو الحجة الظاهرية لينطلق مستنبطا بواطن العرفان في بحوث عرفانية لذا قيل: ((ومن المعلوم في الأصول: إن هذه الحدوس والكشوف أن كانت حجة فهي على صاحبها، بصفته عالما بصحتها، ولا يمكن ان تكون حجة على غيره مع احتماله لتوهم الآخر وانفعاله)) [٦٤]

وهو يشير إلى العلاقة الجدلية بين الله سبحانه وتعالى والكون، والإنسان،

ودوران الأفكار والثقافات حول جدليتها ومنها التأويل العرفاني، الذي هو قطب رحى هذه الجدلية فيقول السيد (قد): ((... فيشمل التأويل جميع تلك الوجودات أو العلوم الحادثة في العالم من أول هبوط آدم إلى قيام الساعة من جميع أنحاء العلوم والخواص كلية أو جزئية بسيطة أو مركبة في الجواهر أو الأعراض في الأفلاك أو الأملاك، وبعبارة أخرى: الإحاطة العلمية الحضورية بجميع ما سوى الله من كل جهة ومثل هذا العلم غير محدود وغير متناه ويختص بعض مراتبه بالله جل ذكره وبعضه الآخر يفيضه جل شأنه على من يشاء من عباده وهم الراسخون في العلم الذين أفنوا جميع شؤونهم الإمكانية في مرضاته تعالى كما يطلع على الغيب المحجوب بعض عباده المقربين المحبوبين فللتأويل وجود انبساطي يشمل جميع ما تقدم بخلاف الاستعمال كالتبادر وأمثاله فانه محدود من جميع الجهات .)) (٦٥)

ناظرا للعلاقة الخلافية بين من ينفي التأويل وبين من يُثبته وبين من يُحلّق به فيقول:

((المؤول لا يصح التمسك به في الحجج الظاهرية بخلاف الاستعمالات الظاهرية فأنها حجة عند العقلاء سواء كانت بلا قرينة أو معها. نعم لو كان دليل من الخارج على إرادة المعنى المؤول يكون حجة حينئذ لكنه من باب الوصف بحال المتعلق لا الوصف بحال الذات هذا بالنسبة إلى نوع الأذهان العامة وأما بالنسبة إلى العالم بالتأويل والراسخ في العلم يكون المعنى المؤول حجة عنده كما في قصة الخضر وموسى)) (٦٦)

وتنبيها للسلوك العرفاني الجليل وأهميته في السلوك البشري لرفع الإنسان إلى مستوى الكمال المطلوب من الخالق جلّ وعلا، وعدم جدوى مذاهب الأخلاق الناتجة من فلسفات المخلوقين على اختلافها، بل الأخذ بأخلاق القرآن الكريم فيشير إلى منهجه الأخلاقي العرفاني من قوله تعالى:

{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ

بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }(٦٧)

فيقول في اختلاف المذاهب الأخلاقية وبأسلوب أدبي مفهوم بخلاف ما اعتدنا عليه من لغة المتصوفة برمزيتها ومجازاتها العالية الممتلئة بالخيال والتمثيل والاستعارات : ((... والسبب في ذلك أن طائفة منهم ربطت المذاهب الأخلاقية بالمذاهب الفلسفية في المعرفة الإنسانية من الواقعية والمثالية والعقلية والحدسية والتجريبية والتشكيكية وغير ذلك. وهذا المسلك وان أمكن تطبيقه على بعض المذاهب الأخلاقية فانه يكون امتدادا لتلك المسالة إلا انه لا يمكن تطبيقه على البعض الآخر مثل الأخلاق المسيحية فان لها خصائص ما يخالف تلك الاتجاهات. وطائفة أخرى أرجعت الاختلاف بعينه إلى الاختلاف في الغاية وأنها هي المنفعة، سواء أكانت فردية أم اجتماعية وابتغاء اللذة والسرور ودفع الآلام والشرور، وهذا المنهج كسابقه فان كثيرا من المذاهب يخرج عن هذا التقسيم.

وطائفة ثالثة ذهبت إلى أن المناط هو الوجدان والزهد والتقشف كما يراه الاتجاه الصوفي. والحق أن شيئا مما ذكر لا يصلح لان يكون المناط في تقسيم المذاهب الأخلاقية، بل أن جميعها تتفق على أن الكمال والسعادة هما الغاية القصوى والمقصد الأسنى للإنسان، وإنما الاختلاف في ما يصدق عليه الكمال والسعادة فالاختلاف في المصداق فقط، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المذاهب الأخلاقية إلى ثلاثة:))(٦٨)

ويقسمها على الاتجاه العقلي، والاتجاه المادي والاتجاه الصوفي وقال في الاتجاه الصوفي: ((وفي هذا الاتجاه ينكر الإنسان المادة في جميع مظاهرها، وان العزوف عن ملاذ الدنيا هو المناط في الأخلاق الفاضلة، ويرى أصحابه أن السعادة هي الابتعاد عما يشغل بال الإنسان عن التفكر، والكمال هو الوصول

إلى مرحلة يصل بها إلى درك الحقائق، وفي هذا الاتجاه تعتبر المحبة أصلا لكل خير. هذه هي الاتجاهات الأساسية للمذاهب الأخلاقية المختلفة المتعددة وهي جميعها قد أخفقت في حلّ المشكلات الخلقية للإنسان سواء الفردية أو الاجتماعية، ولم يصل الفرد بها إلى ما يصبوه من السعادة والكمال بل لم تجلب للإنسان إلا الشقاوة، والوقوع في صراعات فكرية لا يجتنى منها فائدة تذكر)) [٦٩]

وتجدر الإشارة إلى أن كلامه (قد)عن الاتجاه الصوفي يشير بوضوح إلى الفرق الكبير بين العرفان والتصوف، ويظهر رفضه البيّن للثاني وتبنيه الأول، والخوض في تأويلاته بعد إعادة قراءات النص ورفع إشكالاته والتحاور معه من أفق أكثر اتساعاً وجدلية دون رادع أو حاجز أصولي أو مذهبي، وكما قيل: النص لا يعيش إلا من خلال القارئ، والعمل الأدبي يستمد قيمته من التأويل الذي يقدمه القارئ من خلال علاقة حوارية تصاعدية مع النص بوصفه رسالة مفتوحة يوجهها المرسل إلى القارئ، ومن خلال مفاهيم أخلاقية مستمدة من القرآن الكريم يربط السيد (قد) بين الفضل والفضيلة، والجانب النظري بالعملي تلبية للحاجات المتنوعة لتصل إلى ما يسميه (الحاسة الأخلاقية)[٧٠]، وهذا من مصطلحاته الجديدة، لتقابل الحواس الخمس، وحتى السادسة منها، ليأتي بالحاسة الجديدة - الأخلاقية - ليبيّن السير والسلوك ألعرفاني للكمال الإنساني المنشود مستنبطا ذلك من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وقد يرفع هذا التوجه الجليل إلى الإمام علي (عليه السلام) عند جميع الطوائف الإسلامية، فمن وصاياه إلى أبي ذر الدالة على هذا الاتجاه الأخلاقي والفكري قوله (عليه السلام): ((ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى من عصيت واقطع زمانك في تحصيل الكمالات النفسانية وصرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلمية والارتقاء عن حضيض النقصان إلى ذروة الكمال والارتفاع إلى أوج العرفان عن مهبط الجهال))[٧١]

ويستمر السيد (قد) في أسلوبه الجديد في التأويل ألعرفاني بواسطة مباحثه العرفانية التي امتدت من الجزء الثاني من تفسيره ليبين مقامات العارف وأحواله

وجذبات العرفان وغيرها من متممات الكمال الإنساني، فمن تأويله في بيان مقام الذاكرين وهو المناجاة الثالثة عشر عند الامام زين العابدين (عليه السلام)[٧٢] : إذ يتكون النص ألعرفاني بعد استعدادات مسبقة هي (أذكار، أوراد، مجاهدات، رياضات، خلوات ...الخ) تؤدي هذه الاستعدادات إلى تكون (الذوق ألعرفاني) الذي يدرج في ضمن (علم الأحول) الذي يؤدي إلى (المعرفة، الإدراك، الفهم / الحدس) فهو نور عرفاني يقذفه الحق في قلوب أوليائه وهو يستنبطه من الآيتين الكريمتين:

{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }[٧٣]، {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ }[٧٤]

قوله: ((من أجل مقامات العارفين مقام الذكر، بل هو من أعظم مظاهر حب الحبيب لمحبوبه فان ((من أحب شيئا أكثر من ذكره))، ومن علامات الحبيب الاستهتار بذكر حبيبه، وقد قالوا: إن المحب إذا صمت هلك، والعارف إذا نطق هلك، لأن الأول مجبول على ذكر الحبيب، والثاني مأمور بستر الأسرار، ونسب إلى سيد الساجدين (عليه السلام):

يارب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن تعبد ألوثنا

والذكر – عندهم - على أقسام ثلاثة:

الأول: ذكر اللسان المستمد من القلب.

الثاني: ذكر القلب مع عدم حركة اللسان، ويسمى مناجاة الروح. والاستجماع للمذكور بالكلية، وهذا ذكر الخواص.

الثالث: ذكر السر، ومعناه غيبة الذاكر في المذكور – في الجملة – فكان المذكور يكون هو الذاكر، وهذا ذكر أخص الخواص ومثلوا لكل ذلك بأمثلة مذكورة في محلها. كما بينوا لكل واحد منها ثمرات ونتائج.

ولو أضفنا إلى ما ذكروه من الأقسام، ذكر عامة الناس الذي يقوم بالجارحة اللسانية فقط من دون استمداد من القلب، تصير الأقسام أربعة. ولعلّهم لم يذكروا هذا القسم إجلالاعن مثل هذا الذكر.

ثم إن ذكر الذاكر إنما يتقوّم بحبه للمذكور قال تعالى: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)) - آل عمران ٣١-، بل حبه لجميع خلقه مما أثبتته الأدلة العقلية - كما برهن في الفلسفة الإلهية - والنقلية، فيقع التجاذب في البين لكل من الحبيبين .

وبعد تحقق مراتب الصور بينهما كيف يتحقق التخالف ؟! لان ذكر الحاضر من تمام الجهات قبيح قال الشاعر:

أما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه معناكا (٧٥)

وعندما يذكر مقام المحبين: وهو الاسم الحقيقي لهذا الاتجاه الفكري والمعرفي أي دين الحب، أو مذهبه، لأنه الأساس الذي ابتنى عليه هذا الاتجاه، حتى قيل: من قوى حبه تسرمد شربه، وهو أحد مقامات العارفين وهو أحد أحوال المناجاة للامام زين العابدين (عليه السلام) (٧٦) ونسرد وريقات من قوله لنتعرف على هذا المقام من لسان السيد السبزواري (قد) وهو يستنبط هذا الاتجاه من تأويله للآيتين الكريمتين:

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }(٧٧) {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ }(٧٨)

فيقول: ((من أقرب المعاني إلى النفس وأعذبها عليها (الحب). ذلك هو الترابط الوثيق الذي يربط الموجودات بعضها مع بعض و به يجتذب كل صانع مصنوعه فهو الطريق إلى الكمال كل بحسب ما يريده كمالا و به يتحقق الحياة

السعيدة ولأجله يعيش الفرد ويعمل.

يعرفه جميع الروحانيين وأملاك السبع الشداد، ودواب الأرض المهاد، وجميع الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار الغامرات. بل ان جميع الموجودات تحبه تعالى وتعشقه كما أثبته جمع من الفلاسفة. وبهذه الصفة يدرك المخلوق خالقه، ومن هذه الجهة يعطف الخالق على خلقه، فلا حياة ألا بالحب ولا سعادة إلا بالعشق.

وهو من المعاني الوجدانية التي يدركها كل أحد وان قصرت العقول عن الوصول إلى كنه حقيقته. فهل برق من نور الجمال الكامل المطلق يبرق ثم يختفي؟!!

أم هو تجلّ من وجه الله الأعظم ظهر وتجلى ؟!

أم هو تلك الجاذبية التي أثبتها العلم الحديث في جميع الموجودات ؟ !

أم هو ما بينه علي (عليه السلام) في مقام العارفين وخطبة همام ؟ !

أم هو ما نسب إلى ابنه الحسن [٧٩] (عليه السلام) في دعائه لربه: ((تعرفت إليّ في كل شيء فرأيتك في كل شيء وأنت الظاهر لكل شيء))[٨٠] ؟!

أم هو ما شرحه السجاد (عليه السلام) في مناجاة المحبين ؟ !

أم هو ما ذكره ابن الفارض[٨١] في قصيدته التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك التي شرحت بشروح كثيرة مطلعها:

سقتني حُميّا الحب راحةُ مُقلتي وكأسي حُميّا [٨٢] مَن عن الحُسن جلّت[٨٣] ؟!

أم غير ذلك مما يقوله العلم الحديث كما مر. كل ذلك قطرات من البحر لا يدرك ساحله بل يغرق وارده، ومع ذلك فهو أوضح من كل شيء ويوجد في كل شيء .

وهو لا يختص بالإنسان بل يشمل جميع الموجودات الواجب منها والممكن – وقد أثبت العلم الحديث عموم الجاذبية والمجذوبية في الموجودات. وفي حب الله تعالى وحب الإنسان، قال تعالى: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني

يحببكم الله))[٨٤] وحبه تعالى لمخلوقاته من فروع رحمته الواسعة.

وأما محبة سائر الموجودات له تعالى فقد أثبتها جمع من الفلاسفة منهم صدر المتألهين في كتابه القديم (الأسفار الأربعة): أن الموجودات بأسرها عاشقة لجماله ويكفي في ذلك أنها سائرة إلى الكمال المطلق ولا كمال كذلك إلا فيه تعالى ومنه عز وجل فهو محبوب من كل جهة.

فالقول باختصاص الحب في غيره عز وجل نظرا لتنزهه عن معناه (باطل) ولا يخفى فساده لا سيما بعد ما ورد في القرآن الكريم من إثبات حبه عز وجل لبعض الأفراد قال تعالى: ((فان الله يحب المتقين)) [٨٥]، وقال تعالى: ((إن الله يحب المتوكلين)) [٨٦]، وقال جلّ شأنه: ((والله يحب المحسنين))[٨٧] .

والحب من المعاني القلبية المنبثة على جميع جوارح الإنسان وحواسه كما هو واضح ويتعلق بالأشخاص أو الأشياء العزيزة، أو الجاذبة، أو النافعة ويكون باعثا إلى التقرب إلى المحبوب بكل وسيلة يحبها المحبوب كما في حب الله تعالى الداعي إلى إتيان ما يريده عز وجل وترك ما لا يرضيه أو محركا إلى الإتيان بالعمل المحبوب، كما في الأعمال الصالحة والحِرَف والصنايع ونحو ذلك، أو يكون داعيا إلى قضاء الحاجة من المحبوب كما في حب الأكل، وحب المال وحب النساء وغير ذلك. أو يكون مصاحبا إلى البذل والعطاء من دون انتظار مقابل كما في حب الأم للأطفال.

والحب المجرد الذي لا يكون مقرونا بأي شيء لا أثر له بل هو من مجرد اللفظ فقط وهو تارة: يتركز حول النفس، ويسمى بحب الذات الذي لا يخلو عنه أي حيوان وهو المعبر عنه في الإنسان بالأثرة وأخرى: يتعلق بالغير فهو إما أن يكون مصحوبا بالغيرة وهو المسمى بالحب العُذري أو لا يكون كذلك.

وثالثة: يتعلق بالله تعالى ويسمى بالحب الإلهي الذي هو وليد كمال معرفة الله تعالى والناشئ عن الجمال المطلق ولا يحصل إلا بالتخلية عن الرذائل والتطهير عن كل ما يشغل القلب عن الله تعالى، والتحلية بالفضائل. وهذا القسم

هو أفضل أقسام الحب ولا يشعر به إلا العارفون بالله، وهو ذو مراتب متفاوتة، والجامع بينها أن يكون الحب لله وفي الله وكل ما كان الحب أشد كانت السعادة أتم وأعظم. وهو يختلف باختلاف المحبوب وينقسم بحسب القوى الظاهرية في الإنسان كحب البصر للرؤية، والسمع لسماع الأصوات الحسنة وكذلك الشم للأرباح الطيبة، وكذلك اللمس والذوق كما أنه ينقسم بحسب القوى المعنوية – كالعقل والفكر والإيمان، وفي جملة من الأخبار عن نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله) ((ليس الإيمان إلا الحب في الله والبغض في الله)) أي حب الله وحب أحكامه وتشريعاته وحب محبيه والبغض لأعداء الله والمحرمات الإلهية. وقد ذكرنا أن هذا القسم من أفضل أفراد الحب الموجب لسعادة الإنسان في الدارين ٠))[٨٨]

وفي هذا الميدان ميدان الحب، وهو أحد مقامات العارفين الذي لا زلنا ننهل من جماله تأويلات السيد السبزواري (قد) الذي تناوله من حيثيات مختلفة على حسب ما ورد في الآيات الكريمات وعلى ما يتمكن التأويل منها بعد ان بيّن سابقا كنه الحب والتعلق والعشق بين العاشق والمعشوق وشكل العلقة بينهما مع بيان العشق ذاته، فهنا تظهر العلقة بين العاشقين على مراتبهم وتعددهم والمعشوق الواحد، وحضور ممكنات الوجود عند واجب الوجود، وهي على مراتب عديدة لتصل في كمالها الى انه يُسقى من محبوبه لينال اللذة الأبدية..

يقول وهو يؤول الآية الكريمة: {اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }[٨٩]:

((الحضور عند الله جلت عظمته من طرف الممكنات له مراتب كثيرة يمكن أن يقال بأنها لا تتناهى مادام يكون للحاضر لديه جل جلاله استعداد لذلك وتدور مراتبه على مراتب التخلق بأخلاق الله عز وجل والتفاني في مرضاته وأساس ذلك يرجع إلى حب الله تعالى بحيث يجري في الجوارح جريان

الدم في جميع العروق فان القلب منبع الحياة الأبدية وإذا خضع خضعت جميع الجوارح. وأول من سلك هذا المسلك العظيم ومشى في هذا الطريق الجليل الكريم إنما هو سيد الأنبياء وإمام المرسلين الذي هو أعظم أبواب رحمة الله لجميع العالمين حيث نال بحبه له تعالى حياة ابدية حقيقية لا يتصور حياة أفضل واشرف منها فتأمل في قوله (صلى الله عليه وآله) :﴿أبيت عند ربي يطعمني ربي ويسقيني ربي﴾[٩٠] فان المحبوب يسقى مباشرة من حبيبه فهل يتصور حياة ألذ وأوفى من هذه الحياة ؟!! ثم تأمل في قوله (ص): ﴿ليُغان على قلبي فاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة﴾[٩١] فان قلبه الشريف أبدا كان مشغولا ومربوطا به جلت عظمته فان عرض له عارض من أمور الأمة والملة ومصالحهما فزع إلى الاستغفار، فجعل المعاشرة مع غيره تعالى – ولو في المباحات الضرورية – حجابا عنه تعالى، فما اشد الحب، وما أفضل الحبيب وما أجل المحبوب وفي مثل هذا الحب والحضور لا نوم ولا سنة وهو الذي قال: ﴿تنام عيني ولا ينام قلبي﴾[٩٢] وكيف يصلح النوم لواسطة الفيض وغاية الكمال المستفاض خاتم كمالات مَن سبق وفاتح أبوب المعارف!! وكيف ينام وهو بمحضر محبوبه وشهيده! كلا ورب الناس ان مقام الحب أعز وأمنع من أن يعرضه النوم والنعاس)) [٩٣]

ويبيّن العبودية الحقيقية وهي عبادة الأحرار العاشقين لجمال الذات المقدسة من دون رغبة أو رهبة: من تلذذ العبد في الجمال المطلق وهو يتفانى في مرضاته جلّ وعلا ليأتيه الفيض من الخير المحض وهي على مراتب عديدة وهي مرتبطة بمقام المحبين إذ يستغرق العبد في عبوديته وبمراتبها العديدة ليصل إلى لذة الجمال المطلق ويرتقي بكمالات عديدة ليكون محبوبا من جميع الممكنات للفيض والإشراقات التي يحصل عليها نتيجة الرقي بعبوديته وذلك من تأويله (قد) للآيات الكريمة:

{مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[٩٤]، {الَّذِينَ

يُنفقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّه ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[٩٥]، {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ }[٩٦]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }[٩٧]، {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[٩٨]، {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ }[٩٩]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }[١٠٠]، {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[١٠١]، {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }[١٠٢]، {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ }[١٠٣]، {إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[١٠٤]، {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }[١٠٥]، {لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ }[١٠٦]، {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[١٠٧]

فيقول (قد) - وهو يأول تلك الآيات الكريمات بأسلوبه وطريقه العرفاني -: ((العبودية الحقيقية لله تعالى جوهرة كنهها الربوبية، والتفاني في مرضات الخير المطلق خير مطلق، ويصير العبد بذلك محبوبا لدى الجميع من دون أن يكون في البين واسطة وشفيع بل يصير العبد بها محبوب الممكنات وتشرق عليه الشوارق من رب البريات.

ألم تر أن البدر يشرق ضوئه بصفو غدير وهو في أُفق السما

فان استغراق العبد في العبودية المحضة تلذذ من الجمال المطلق الأتم واستشعار بالكمال الأرفع الأهم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون، وفي مثل هذه المرتبة تتحد الحقيقة والفعل والفاعل وحينئذ يقصر القلم عن البيان ويكل اللسان عن الكلام. وحيث لا يجد المدعوّن لعبودية الله تعالى هذا المقام في أنفسهم ويعترفون بعدم وجدانهم له فلا بد ان يعترفوا بعدم وجدانهم لمقام العبودية المحضة، فان عدم المعلول يكشف عن عدم العلة وكيف يصل أحد إلى هذا المقام وهو منغمر في الشهوات وأليف الغفلات. وإنما يعبد العابدون أهوائهم النفسانية التي أفنوا جميع حيثياتهم وشؤونهم فيها ﴿أفرأيت من أتخذ الهه هواه﴾ الفرقان - ٤٣ والعبودية الحقيقية هي التي تظهر آثارها على العبد فلا يصدر منه معصية ولا يخطر في باله غير رضاء الرب وفيها قال علي (عليه السلام) :﴿أعبد الله كأنك تراه فان لم تراه فانه يراك واحذره أن يراك حيث نهاك﴾ وأنها إذا استولت على القلب فلا يشغله شاغل من الشواغل المادية الدنيوية ولا يمنعه مانع من الإنفاق في سبيل الله تعالى فان الخلق كلهم عيال الله عز وجل، والعبودية الحقيقية إضافة بين المعبود والعابد وهي دواء لجملة من الأمراض النفسانية الروحانية وفيها سر الخلوص والاخلاص. والعبد يبذل المال اليسير والإنفاق في سبيل الله يرتبط بذلك مع عالم لا نهاية لعظمته و لا حد لجهة من جهاته فيتضاعف بنفس الإضافة التشريعية أضعافا مضاعفة لا في الدنيا فحسب بل في كل عالم يظهر فقر الإنسان الذاتي من كل جهة، ولو أردنا بيان

الأدلة السمعية والشواهد العقلية لطال المقام. فالإنفاق إما لأجل حبه من حيث هو كمال للإنسان كان الإنسان جوادا بنفسه أو لأجل رضاء الله تعالى أو لأجل حب المنفق عليه حبا يرجع إليه عز وجل فجميع ذلك ترجع إلى نفس العبد المنفق ويكون كمالا له ويستكمل به استكمالا حقيقيا تتبعه السعادة الأبدية وهي غاية خلق الخليقة وتلزم ذلك السعادة الدنيوية والكمال الدنيوي الزائل فلا استكمال إلا بالإضافة إلى الحي القيوم وكل من أهمل ذلك أهمل غاية خلقه وسعى في تعطيلها وتضييعها. ٠... وبذل المحبوب في مرضات المحبوب من طرق إثبات خلوص المحبة وصفاء المودة، ويتضاعف ذلك حسب تضاعف عظمة المبذول له وأهمية الوصول إلى قربه ورضوانه، ونفس هذه الإضافة توجب للباذل درجة رفيعة مع قطع النظر عن سائر الجهات ولذلك أجمل سبحانه وتعالى قوله: {والله يضاعف لمن يشاء} البقرة ١١٠، فالعين موجودة عنده سبحانه وتعالى ولا يعقل فناؤها لكن مع إضافات لا تتناهى وكل ما ورد فيه من التحديد فإنما هو بحسب موجودات هذا العالم لا بحسب الواقع الذي يطلق عليه (عند الله) أو (عند الرب) ولا معنى للربوبية العظمى إلا تربية ما يصل إليه بما يليق به. وأما الملكية، والمالكية، والاختصاص فأنها إذا لوحظت بحسب هذا العالم فهي قابلة للتغير والتبدل ولكن الإضافة الواقعية وهي سبيل الله والحق المطلوب له باقية لا تزول بل تنمو وتزداد بالعناوين الخارجية ولا يحدها الزمان والمكان ولا غير ذلك من ملابسات الفعل. ولذلك فكل إنفاق يصدر عن غير ذلك ولا يقصد به الحق المتعال يكون من ترجيح المرجوح على الراجح الذي هو قبيح عقلا ولا نصيب للفاعل منه في الآخرة فقد ذهب المال وبقى الحسرات.)) (١٠٨)

ومن سَفر العارفين إلى الله بطرقهم المختلفة والتي من أجلّها السَّفر من خلال الصلاة، والسفر من خلال الحج، والسفر من خلال الدعاء، والسفر ليس مقاما من مقاماتهم أو حالا من أحوالهم، بل هو الطريق وسلوك الى الاحوال والمقامات، وقد توجد أسفار تُعد عندهم من الاسرار الا انها لاتتعدى الاساس

وهو الكتاب الكريم والسنة الشريفة لتعينهم رياضات السلوك للوصول الى الكمالات ومراتبها التي لاتعد ولا تحصر..

فمن السفر إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الصلاة في تأويله للآيتين الكريمتين: {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للّه قَانِتِينَ }[١٠٩]، {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }[١١٠]

يقول: ((... فيها إضافة إلى عالم لا نهاية له في الجلال والجمال والافضال إضافة اختيارية يظهر أثرها على أفعال الجوارح والجوانح توجب عظمة المضاف وارتفاع درجاته ومقاماته المعنوية الأبدية لا سيما إذا كان المضاف إليه داعيا لإيجاد تلك الإضافة ومرغبا إليه فانه من سنخ تعلق المحبوب بحبيبه. ففي الصلاة هذا السر المعنوي الذي يدركه العقول بحقائق الإيمان لا الحواس الظاهرة التي في الإنسان. فالصلاة هي العمود ألنوري المتصل بين الحي القيوم والعبد الذي هو في معرض الحوادث والآلام، ولذا أمرنا بالاستعانة بها إذا أهمتنا أمر. قال تعالى: {واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين} البقرة ٤٥، وكانت الأنبياء (عليهم السلام) إذا دهمهم أمر استعانوا بالصلاة. والصلاة علامة الإيمان بالله تعالى و بها وبقرينتها الزكاة تتحقق الإخوة الدينية، قال تعالى: {فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين }التوبة ١١ ...)) [١١١] والسفر إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الدعاء في تأويله للآية الكريمة: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }[١١٢]

يقول: ((لا ريب في أن أقوى مراتب سلوك السالكين إلى الله جلت عظمته وأهم مقامات سيرهم وسفرهم إنما هو السفر من الخلق إلى الحق أي: التوجه التام بحيث ينقطع عما سواه تعالى وهو السير في الحق بالحق، وهذا السفر الروحاني يصح أن يعبر عنه: بأنه سفر من المحدود من كل جهة إلى غير المحدود

من جميع الجهات، وعطف وحنان ممن لا حد لرحمته وحنانه وعنايته إلى ما هو المحتاج على الإطلاق

وهذا السفر وهذه الرحمة والعطف يتحققان في حقيقة الدعاء مع الإيمان بالله جلت عظمته وبما جاء به نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله) ...)) [١١٣]

ومن السفر إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الحج، وهو يؤول آيات الحج الكريمة بعد أن عرف وعرفنا تفسيرها الظاهري في هذه العبادة: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للّه فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[١١٤]، {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ }[١١٥]، {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ }[١١٦]، {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[١١٧]، {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ }[١١٨] {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }[١١٩]، {أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }[١٢٠]، {وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[١٢١]

يقول: ((ومن العبادات في الإسلام الحج الذي هو السفر إلى الله تعالى

للوقوف بين يدي عظمته والدخول في ضيافته في بيته وحرمه الذي جعله من أبواب رحمته فمن دخله كان من الآمنين. وهو سفر يتضمن كثيرا من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا من خلع عن نفسه الاغيار، ودخل في حريم كبرياء ألجبار وهو السفر الذي يتحقق فيه الأسفار الأربعة التي تكون للسلاك من العرفاء و لا ينال العبد ما في هذا السفر ولا يصل إلى الوجه المطلوب إلا إذا كان ملتفتا إلى سفره مبدأه وغايته ... وأول تلك المنازل حمل الزاد وتهيئة المركب ... وقد أخبرنا الله عز وجل أن التقوى هي خير الزاد ... ومن منازل هذا السفر الخطير الإعراض عما سواه عز وجل والابتعاد عن الاغيار، ومن منازله أيضا البناء والعزم على إتيان العمل جامعا للشرائط)) (١٢٢)

ويستمر في بيان كل مرحلة من مراحل الحج عرفانيا ومعنويا وبتفاصيل دقيقة .. ثم ننظر إلى تأويله إلى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى، التي لها مصاديق كثيرة في تاريخنا الإسلامي، والتي منها مبيت الإمام علي (عليه السلام) في فراش الرسول الأعظم وتعرضه للقتل، ومنها: شراء أبي ذر نفسه بأمواله أو في صهيب، ومنها فداء إسماعيل (عليه السلام) ويقف عند هذا الفداء وقفة عرفانية طويلة، وهو يؤول الآيات الكريمة:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ }(١٢٣)، {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ }(١٢٤)، {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ }(١٢٥)، {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ }(١٢٦)

فيقول: ((قد ثبت في الفلسفة العملية وحققه العرفاء الشامخون أن أنس النفس بالكليات يوجب ارتقاءها عن حضيض البهيمية إلى أوج الإنسانية الحقيقية مطلقا فضلا عما اذا كانت تلك الكليات من العالم الغيبي الربوبي فتأنس النفس إلى عالم لا حد لأية جهة من جهاته لتباعدها حينئذ عن دار الغرور واتصالها

بمنبع النور الذي لا يمكن تحديد أشعته بأي حد من الحدود الإمكانية، ومرضات الله تعالى لا تكون إلا من منبع النور، وتجردها بالكلية عن دار الغرور فتشرق على النفس حينئذ أنوار ذلك العالم فتبتهج بما لا تدرك ولا تعلم هذا إذا لوحظ ذات تبديل النفس بمرضات الله جلت عظمته. وأما إذا انطبق عليه عنوان آخر فيعظم ذلك بحسب عظم ذلك العنوان وكمال أهميته، فإذا كانت التفدية مثلا بإزاء حفظ نفس حبيب الله تعالى وصفيه من خلقه، وهو مبدأ الإفاضات وغاية خلق المخلوقات بل هو صورة إجمالية لنظامي التشريع والتكوين، فما أعظم هذه التفدية !! فأنها وقعت بإزاء الجميع في الجميع، ولا تصل النفس إلى هذه المرتبة ولم تتصد لها إلا بعد لياقتها واستعدادها لمثل هذا الفداء، وإذا كان الله جلت عظمته يقول في فداء إسماعيل: {وفديناه بذبح عظيم}الصافات /١٠٧، فماذا ينبغي أن يقول جل جلاله في مثل هذا الفداء، ومنه يعلم عظم المفدى (بالفتح) والمفدي (بالكسر).

ومن ذلك يظهر سر التعبير في قوله تعالى: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد}

وجميع ما في الكون من مستحسن ... فإليك نسبته وباسمك ينطق
من مات في دير الهوى بك صبوة ... نال الشهادة وهو حي يرزق
من لي سواك أحبه أو أعشق ... ولك الملاحة والجمال المطلق

هذا كله في الإنسان الكامل الذي ارتقى عن حضيض البهيمية إلى أوج الكمال ويقابله أنس النفس بالماديات والرجوع إلى أقصى درجات حضيض البهيمية، الذين قد وصفهم سبحانه وتعالى في هذه الآية بقوله: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الّد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد}.....)) (١٢٧)

ومن تأويلاته العرفانية في طلاق الدنيا وزخارفها، وهو يؤول آيتي الطلاق

والتي لها مفهومها الفقهي الظاهري في أحكام انفصال الزوج عن الزوجة وبيان مالهن وما عليهن وهو مبغوض عند الخالق جلّ وعلا، بيد أنه يحلق من تلك الآيات في عالم العرفان ليبين عن طريق التاويل طلاق الدنيا المحبوب عند الخالق جلّ وعلا: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[١٢٨]، {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[١٢٩]

يقول: ((تقدم بعض ما يرتبط بطلاق الزوج لزوجته وهو أمر مبغوض عند الخالق والمخلوق. وهناك طلاق آخر هو مجمع الكمالات الإنسانية وأهم طرق السير والسلوك إلى الله تعالى ويتجلى أهميته في اجتماع التخلية عن الرذائل، والتحلية بالفضائل، والتجلية بصفات الباري عز وجل فيه، وهو طلاق الدنيا وما سوى الله جلت عظمته وهو أيضا مرتان{فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان} وأن له درجات ...)) [١٣٠] وعن إحاطة الله سبحانه وتعالى بكل شيء وهو السميع العليم ومن خلال تأويله الآيتين الكريمتين: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[١٣١]، {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }[١٣٢]

يقول: ((تقدم أن الله جل جلاله محيط بما سواه إحاطة واقعية قيومية بالقدرة التامة والحكمة البالغة والعلم الأكمل الأتم لا يعزب عنه شيء في السموات ولا في الأرض، ومن أهم جهات إحاطته السلطة على كل ما يضاف إليه عز وجل ولا يعقل بينونة عزلة له مع خلقه. فسبيل الله تعالى لابد من أن يرجع إلى علمه وحكمته وهما عين ذاته الأقدس بالوجود العلمي الواقعي، وان

كان بالوجود الخارجي قتل العدو أو الظالم أو المنافق أو الكافر، وإماطة الأذى عن طريق العابر فان كل ذلك من سبيله عز وجل بالوجود العلمي وان كان فعلا خارجيا للعبد والجزاء على ذلك كله من شؤون ذاته المقدسة لأنه يرجع إلى رحمته وهي من صفات الذات وكيف يعقل غفلته تعالى عن ذلك لا سيما في مثل هذه الحياة التي لا يمكن درك حقيقتها، واستقراض هذا الحي القيوم والقبض والبسط بالنسبة إليه. ...))[١٣٣]

والأمثلة العرفانية كثيرة جدا في مباحثه من تفسيره (قد)، ذكرنا ما تيسر منها، وهي بحاجة للجمع والتحقيق، لما فيها من علم جم وفوائد نادرة ..

الخاتمة

وفرّق البحث بين التصوف والعرفان في الوقت الذي لانجد تفريقا واضحا عند الدارسين (الاكاديميين) لهذين المصطلحين.

بيّن البحث ابستمولوجيا النص آخذا باصطلاحه النقدي مبتعدا عن الاصطلاح الفلسفي - نظرية المعرفة - وتحرك النص الإسلامي بين البرهاني - الدلالي- والباطني - الميتافيزيقي- عن طريق مدارسه التراثية الثلاث - الظاهرية، والعقلية، والمدرسة التي اتخذت العقل طريقا - وتقابل هذه المدارس الثلاث المدرسة الباطنية التي تتضمن مدارس وتوجهات مختلفة.

ثم بيّن البحث إشعاعات التأويل، وجاء بكلمة إشعاع لان فيها ما ليس في كلمة المجاز، والتأويل يرتقي بالمجازات إلى حدود لا يسلكها المجاز العقلي والمرسل من إيحاءات التصوف والعرفان، ليسبر سلم التأويل ليصل إلى أسماه من تأويل العارفين .

ثم يبيّن البحث ((انطلوجيا)) النص متخذا المصطلح النقدي الحديث في بيان وجودية النص في جهود السابقين وليس في جهود السابقين بشكل مطلق، وبيان الترابط الجدلي بين البرهاني والباطني، وبين المعقول الديني والمعقول

العقلي لتنتج تفاسير ومقاصد ورؤى تختلف باختلاف المباني المعرفية ٠

ثم بيّن البحث تأويل السيد السبزواري(قد) وهو يسبر كتابه التفسيري (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) المفعم بالتأويل بعامة والتأويل العرفاني بخاصة، بعد بيان التأويل العرفاني من خلال سطور البحث، ومع أن السيد (قد) من أهل العرفان إلا أنه لم يؤول الآيات الكريمات على طريقة التأويل العرفاني المحض مثلما عرفناه عند غيره من العارفين بل سار على وفق التأويل العلمي العقلي ألإمامي، ليرتقي بعد ذلك إلى التأويل العرفاني بحذر شديد وما ذلك إلا لمعينه المعرفي من الفقه والأصول والفلسفة وعلم الكلام، لذا كان تأويله العرفاني تأويلا خاصا به أقرب ما يكون إلى المباحث العرفانية منه إلى التأويل العرفاني المحض، فكان تأويله العرفاني ذا بصمة ((سبزوارية)) خاصة به ٠

بيّن البحث نماذج من التأويلات العرفانية ناقلا نصوص السيد (قد) تطبيقا لما بيناه – مع طولها – توخيا لإيضاح المطلب العلمي وان ثقُل البحث بها ٠

هوامش البحث

(١) تأويل النص عند الصوفية – فصوص الحكم لابن عربي إنموذجا/ د٠ الشيخ علي سميسم / ٤٣

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن / السيد عبد الأعلى السبزواري / ج١ /٥

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن / ج٢ /١٩٦ /١٥٢

(٤) آل عمران /٧

(٥) ظ: لسان العرب ـ أول ـ

(٦) ظ: تاج العروس ـ أول ـ

(٧) ظ: معجم مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني/٢٧

(٨) ظ: لسان العرب /مادة ـ أول ـ

(٩) ظ: مقاييس اللغة/ ابن فارس/ مادة ـ أول ـ

(١٠) ظ: لسان العرب ـ باب ـ الهمزة ـ أول ـ

(١١) يونس /٣٩
(١٢) ظ: لسان العرب ـ مادة ـ أول ـ
(١٣) يوسف/٦
(١٤) الأعراف /٥٣
(١٥) آل عمران/٧
(١٦) تهذيب اللغة / الأزهري / ـ أول
(١٧) مقاييس اللغة / ابن فارس / ـ أول ـ ج١٠ / ص١٦٠
(١٨) يوسف / ٤٤
(١٩) يوسف/ ١٠٠
(٢٠) يوسف / ٣٦
(٢١) يوسف /٦، ٢١، ٤٤، ١٠٠، ١٠١، ٣٦، ٣٧، ٤٥، الكهف/ ٧٨، ٨٢، لنساء/ ٥٩، ا لإسراء/ ٣٥ ا، آل عمران ٧، الأعراف/ ٥٣ يونس/ ٣٩
(٢٢) ظ: أصول الفقه الإسلامي والهرمنيوطيقا / السيد صدر الدين طاهري / مجلة المنهاج / ص٧
(٢٣) الصحاح / الجوهري / مادة أول
(٢٤) تاج العروس / الزبيدي / مادة ـ أول ـ
ظ: الإتقان في علوم القرآن / السيوطي / تحقيق: محمد أبو الفضل/ ج٤ / ص١٦٩
(٢٥) ظ: تهذيب اللغة / الأزهري / – أول –ج١٥ / ص٤٥٨
(٢٦) لسان العرب / ابن منظور / باب الهمزة ـ أول
ظ: النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / ج١ / ص٨٠
ظ: البيان في تفسير القرآن / السيد أبو القاسم الخوئي / ج١ / ص١٧٣
(٢٧) ظ: تفسير القرطبي / القرطبي / ج١٧ / ص٣٧٣
(٢٨) تفسير البحر المحيط /أبو حيان الأندلسي / ج٨ / ص٢٣
(٢٩) ظ: كتاب الطِراز / يحي بن حمزة العلوي / ج١ / ص١١
(٣٠) أمالي المرتضى / الشريف المرتضى / ج١ / ص٧
(٣١) مثل الطبري و أبي العباس يحي بن ثعلب و أبي عبيد
ظ: البرهان في علوم القرآن / الزركشي / ج٢ / ص١٦٤

(٣٢) ظ: تفســـير الطـــبري / ج ٥، ص٧، ص١١، ص١٢، ص١٥، ص١٧ / ج٧، ص٤٦، ص٦٤، ص١١٠ ـ الخ
(٣٣) تفسير الطبري / ج٦ ص٢٠٤، النسخة المحققة ج٢ ص٥١١
(٣٤) الأسماء والصفات (مجموعة الفتاوى) / ابن تيمية / ج٥ / ص٣٥
(٣٥) الموسوعة الإسلامية الميسرة / ج١ / ص١٩٣
(٣٦) ظ: تأويل النص عند الصوفية / د٠ الشيخ علي سميسم /٣٢
(٣٧) البرهان / الزركشي / ج٢ / ص١٦٥
ظ: الإتقان / السيوطي / ج٤ / ص١٦٨
(٣٨) الإتقان في علوم القرآن / السيوطي / ج٤ /١٦٧
(٣٩) لسان العرب / باب الهمزة ـ أو
(٤٠) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ابن الأثير / ج١ / ص١٧٥
(٤١) ظ: القرآن في الإسلام / السيد محمد حسين الطبأطبائي / ص٤٣ـ ٤٦
(٤٢) تأويل النص عند الصوفية / د٠ الشيخ علي سميسم / ١١٣
(٤٣) مواهب الرحمن / ج٥ /٨٦-٨٧
(٤٤) ظ: لسان العرب / ابن منظور / ج٩/٢٣٦
ظ: مختار الصحاح للجوهري/ ص٤٢٦
ظ: تاج العروس / الزبيدي /ج١٢/ ٣٧٩
ظ: المنجد / ٤٧٠
(٤٥) ظ: الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري/ ٥٠١
ظ :موسوعة المصطفى والعترة (ﷺ) / الحاج حسين الشاكري/ ج١/٣١٢
ظ: تهذيب الأصول / تقرير بحث السيد الخميني / سبحاني /ج٢/٣١٤
(٤٦) ظ: الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري/ ٥٠١
ظ: بحار الأنوار / المجلسي / ج٦٦/٢٩٠
(٤٧) ظ: الفروق اللغوية / ابو هلال العسكري/ ٥٠١
ظ: عمدة القاري / العيني /ج١ / ١٦٥
(٤٨) ظ: الفوائد العلية / السيد علي البهبهاني /ج٢/٣٩٤
(٤٩) ظ: المهذب البارع / ابن فهد الحلي /٦
(٥٠) ظ: المكاسب / الشيخ الأنصاري / ج /٢٩

(٥١) ظ: أنوار الهداية/ السيد الخميني / ج٢/٢٧
(٥٢) ظ: جواهر الأصول / تقرير بحث السيد الخميني / للنكَرودي/ج١/٤٥
ظ :مناهج الأصول إلى علم الأصول / السيد الخميني/ج١/٣٨
ظ: تسديد الأصول / الشيخ محمد المؤمن القمي/ج١/٩
(٥٣) ظ: بحار الأنوار / ألمجلسي/ج٥٨/٣٩
(٥٤) ظ: أصول المظفر / الشيخ محمد رضا المظفر /ج١/ ٥- ٢١٠
(٥٥) ظ: تاويل النص عند الصوفية/ د٠ الشيخ علي سميسم / ٤٣- ١١٢
(٥٦) ظ: تاويل النص عند الصوفية/ د٠ الشيخ علي سميسم / ١١٩
(٥٧) ظ: الفرق بين التأويل والمجاز/ محمد الغانم/Mar-2007, 03:12 PM
(٥٨) ظ: تاويل النص عند الصوفية / د٠ الشيخ علي سميسم / ١٣٩
(٥٩) ظ: تاريخ الفلسفة الإسلاميّة/ هنري كوربان/ ٨٥
(٦٠) ظ: البرهان في تفسير القرآن / السيد هاشم البحراني/ ١/ ٢
ظ: أصول الكافي / الكليني/ ٢/ ٥٩٩
ظ: معاني الأخبار/ الصدوق/ ٢٤٦
ظ: كنز العمال/ ج ١٠ / ٢٢٢ و ٢٧٦
ظ: التعرف لمذهب أهل التصوف / أبي بكر محمّد الكلاباذي/٨٧
ظ: البيان في تفسير القرآن / السيد الخوئي/ ٢٨١.
(٦١) تاويل النص عند الصوفية / د٠ الشيخ علي سميسم / ٥٠- ٥٩
(٦٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن / ج١ /٥-٦
(٦٣) مواهب الرحمن / ج٥/٨٩
(٦٤) أضواء على ثورة الإمام الحسين (j) / الشهيد السيد محمد الصدر(قد)/ ٣٤
(٦٥) مواهب الرحمن / ج٥/٨٩
(٦٦) مواهب الرحمن / ج٥/ ٩٠
(٦٧) البقرة/ ١٧٧
(٦٨) مواهب الرحمن / ج٢/٣٧٨-٣٧٩
(٦٩) مواهب الرحمن / ج٢ /٣٨١
(٧٠) م٠ن / ٣٨٢
(٧١) كشف اللثام / الفاضل الهندي/ ج١١ / ٥٢٧

(٧٢) الصحيفة السجادية / الامام زين العابدين (عليه السلام) / ٢٧٦
(٧٣) البقرة/ ١٥١
(٧٤) البقرة/ ١٥٢
(٧٥) مواهب الرحمن / ج٢ / ١٩٦
(٧٦) الصحيفة السجادية / ٢٦٨
(٧٧) البقرة/ ٢٢
(٧٨) البقرة/ ١٦٧
(٧٩) منسوب الى الامام الحسين (ع)
(٨٠) بحار الانوار / العلامة المجلسي/ ٦٤/ ١٤٢
(٨١) هو أبو جعفر عمر بن علي السعدي المصري ت ٦٣٢هـ
(٨٢) وكأسي محيا
(٨٣) ديوان ابن الفارض / ط١/ مطبعة ابراهيم النجار – بيروت / ١٨٥١م / ١٢٧
ظ: كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر – في شرح التائية الكبرى / الشيخ عبد الرزاق بن أبي الغنائم أحمد الكاشاني /٣٦
(٨٤) آل عمران /٣١
(٨٥) آل عمران/ ٧٦
(٨٦) آل عمران/ ١٥٩
(٨٧) آل عمران/ ١٤٨
(٨٨) مواهب الرحمن / ج٢ / ٣١٠- ٣١٣
(٨٩) البقرة /٢٥٥
(٩٠) عوالي اللئالي/ أبو جمهور الاحسائي/ ٢٣٣
(٩١) المجازات النبوية / الشريف الرضي / ٣٩٠
(٩٢) مسند أحمد / الامام أحمد بن حنبل / ٢/ ٢٥١
(٩٣) ج٤/٢٨٥
(٩٤) البقرة /٢٦١
(٩٥) البقرة /٢٦٢
(٩٦) البقرة /٢٦٣
(٩٧) البقرة /٢٦٤

(٩٨) البقرة /٢٦٥
(٩٩) البقرة /٢٦٦
(١٠٠) البقرة /٢٦٧
(١٠١) البقرة /٢٦٨
(١٠٢) البقرة /٢٦٩
(١٠٣) البقرة /٢٧٠
(١٠٤) البقرة /٢٧١
(١٠٥) البقرة /٢٧٢
(١٠٦) البقرة /٢٧٣
(١٠٧) البقرة /٢٧٤
(١٠٨) مواهب الرحمن /ج٤/٤٢٨- ٤٣٠
(١٠٩) البقرة /٢٣٨
(١١٠) البقرة /٢٣٩
(١١١) ج٤/ ١٠٨
(١١٢) البقرة/ ١٨٦
(١١٣) مواهب الرحمن / ج ٣ / ٨٥
(١١٤) البقرة / ١٩٦
(١١٥) البقرة / ١٩٧
(١١٦) البقرة / ١٩٨
(١١٧) البقرة / ١٩٩
(١١٨) البقرة / ٢٠٠
(١١٩) البقرة /٢٠١
(١٢٠) البقرة /٢٠٢
(١٢١) البقرة /٢٠٣
(١٢٢) مواهب الرحمن /ج ٣/ ٢٢٣
(١٢٣) البقرة /٢٠٤
(١٢٤) البقرة /٢٠٥
(١٢٥) البقرة /٢٠٦

(١٢٦) البقرة /٢٠٧
(١٢٧) مواهب الرحمن / ج٣/ ٢٤٥
(١٢٨) البقرة /٢٢٨
(١٢٩) البقرة /٢٢٩
(١٣٠) مواهب الرحمن / ج٤/ ٣٣
(١٣١) البقرة /٢٤٤
(١٣٢) البقرة /٢٤٥
(١٣٣) ج٤/ ١٣٣

مصادر البحث

١. القرآن الكريم
٢. الإتقان في علوم القرآن / السيوطي ت ٩١١هـ/ تحقيق: سعيد المندوب /دار الفكر – بيروت / ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م
٣. الأسماء والصفات (مجموعة الفتاوى) / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني
٤. أصول الفقه الإسلامي والهرمنيوطيقا / السيد صدر الدين طاهري / مجلة المنهاج / ص٧
٥. أصول المظفر / الشيخ محمد رضا المظفر/ طبع وتوزيع الحاج جبار العبود / ط٤ / ١٩٩٣م
٦. أضواء على ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) / الشهيد السيد محمد الصدر(قد) / تحقيق: الشيخ كاظم العبادي الناصري / هيئة تراث السيد الشهيد الصدر(قد) / النجف الأشرف ٢٠٠٩م – ١٤٣٠هـ
٧. أمالي المرتضى – غرر الفرائد ودرر القلائد – / الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / القاهرة / ١٩٥٤م
٨. أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية / الإمام الخميني / تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني – قم / مطبعة مؤسسة العروج – قم / ١٤١٥هـ
٩. بحار الأنوار / المجلسي ت ١١١١هـ/ الناشر: مؤسسة الوفاء – بيروت / ط٢/ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م
١٠. البرهان في تفسير القرآن / السيد هاشم البحراني
١١. البرهان في علوم القرآن / محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار المعرفة- بيروت/ ١٣٩١هـ

١٢. البيان في تفسير القرآن / السيد أبو القاسم الخوئي/ المطبعة العلمية في النجف /ط١ / ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م
١٣. تاج العروس / الزبيدي ت ١٢٠٥هـ / تحقيق: علي شيري / دار الفكر – بيروت / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
١٤. تاج اللغة وصحاح العربية / إسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار / دار العلم للملايين – بيروت / ط٤/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
١٥. تاريخ الفلسفة الإسلاميّة / هنري كوربان/١٩٦٤م
١٦. تأويل النص عند الصوفية فصوص الحكم لابن عربي إنموذجا / د٠ الشيخ علي سميسم / الناشر: ديوان الكتاب – بيروت / توزيع: دار الصفوة – بيروت / ط١ / ٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ
١٧. تسديد الأصول / الشيخ محمد المؤمن القمي / مؤسسة النشر الاسلامي – قم / ط١/ ١٤١٩هـ
١٨. التعرف لمذهب أهل التصوف / أبي بكر محمّد الكلاباذي/ دار الكتب العلمية - بيروت / ١٤٠٠
١٩. تفسير البحر المحيط /أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي
٢٠. تفسير القرطبي / القرطبي ت٦٦٧١هـ / تصحيح: أحمد عبد العليم لبردوني/ دار إحياء التراث العربي - بيروت
٢١. تهذيب الأصول / تقرير بحث السيد الخميني ت ١٤١٠هـ / السبحاني/ شركة جاب قدس / ط٢ / دار الفكر – قم / ١٣٦٧ش
٢٢. تهذيب اللغة / الأزهري / مصر / ط١ / ١٩٦٤
٢٣. جواهر الأصول / تقرير بحث السيد الخميني / للنكَرودي / تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني / مطبعة مؤسسة العروج - إيران / ط١ / ١٤٢١هـ
٢٤. ديوان ابن الفارض / ط١/ مطبعة ابراهيم النجار – بيروت / ١٨٥١م
٢٥. الصحيفة السجادية / الامام زين العابدين (عليه السلام) / تقديم: السيد محمد باقر الصدر (قد)/ الناشر: أنوار الزهراء – قم
٢٦. عمدة القاري في شرح البخاري / العيني ت ٨٥٥هـ / دار إحياء التراث العربي- بيروت
٢٧. عوالي اللئالي/ أبو جمهور الاحسائي/ تحقيق: مجتبى العراقي / ط١/ مطبعة سيد الشهداء – قم / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٢٨. الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري ت ٣٩٥هـ / تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي – قم / ط١ / ١٤١٢هـ
٢٩. الفرق بين التأويل والمجاز/ محمد الغانم/Mar-2007, 03:12 PM - من الانترنيت -
٣٠. الفوائد العلية / السيد علي البهبهاني ت ١٣٨٠هـ/ المطبعة العلمية – قم / ط٢/ ١٤٠٥
٣١. القرآن في الإسلام / السيد محمد حسين الطبأطبائي ت ١٤١٢هـ / تعريب: السيد أحمد الحسيني
٣٢. الكافي / الشيخ الكليني ت ٣٢٩هـ/ تحقيق: علي أكبر الغفاري / ط٥ / مطبعة الحيدري – طهران / ١٣٦٣ش
٣٣. كتاب الطِراز / يحي بن حمزة العلوي/ القاهرة / ١٩١٤م
٣٤. كشف اللثام / الفاضل الهندي/ تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي – قم / ط١/ ١٤٢٤
٣٥. كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر – في شرح التائية الكبرى / الشيخ عبد الرزاق بن أبي الغنائم أحمد الكاشاني / طبعة طهران / ١٣١٩هـ
٣٦. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ت ٩٧٥هـ / ضبطه وفسر غريبه وصحح فهارسه: الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا / مؤسسة الرسالة - بيروت / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
٣٧. لسان العرب / أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١هـ/ الناشر: نشر أدب الحوزة - قم / ١٤٠٥هـ
٣٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ - ابن الأثير - أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي/ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد/ المكتبة العصرية- بيروت/ ١٩٩٥م
٣٩. المجازات النبوية / الشريف الرضي/ تحقيق: طه محمد الزيتي/ منشورات مكتبة بصيرتي- قم
٤٠. مختار الصحاح/ الامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٧٢١هـ/ ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين / دار الكتب العلمية – بيروت / ط١ / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
٤١. مسند أحمد / الامام أحمد بن حنبل / دار صادر - بيروت
٤٢. معاني الأخبار/ الصدوق: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ / تصحيح: علي أكبر الغفاري / الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي – قم / ١٣٧٩هـ

٤٣. معجم مفردات ألفاظ القرآن/ أبي القاسم حسين بن محمد الفضل الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ / تحقيق: نديم مرعشلي / مطبعة التقدم العربي / ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م
٤٤. معجم مقاييس اللغة/ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ / مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي - قم /١٤٠٤هـ
٤٥. المكاسب / الشيخ الأنصاري ت١٢٨١هـ / تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم / مطبعة باقري- قم / ط١/ ١٤١٥هـ
٤٦. مناهج الأصول إلى علم الأصول / الامام الخميني (قد) / تحقيق ونشر:مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني (قد) – قم / مطبعة مؤسسة العروج / ط١/ ١٤١٤هـ
٤٧. المنجد / الاب معلوف / دار المشرق – بيروت / ط٩ / ١٩٨٦
٤٨. المهذب البارع / ابن فهد الحلي ت ٨٤١هـ / تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي / الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة / ١٤٠٧هـ
٤٩. مواهب الرحمن في تفسير القرآن/ السيد عبد الأعلى السبزواري / مطبعة الديوان – بغداد /ط٢ /١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
٥٠. موسوعة المصطفى والعترة(ﷺ) / الحاج حسين الشاكري/ مطبعة ستارة – قم / ط١/ ١٤١٧هـ
٥١. النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير ت ٦٠٦هـ/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود أحمد الطناحي / الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر – قم / ط٤ / ١٣٦٤ش